الفصل الثاني

فرق السلفية

obeikan.com

obeikan.com

المبحث الأول

التوحيد الثلاثي

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[1]، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[2]، وقال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[3]، وقال بعدها عز وجل -: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾[4] فالعبادة إنما كانت للأرباب المتفرقين.

وقال الله – تعالى – في حق عيسى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾[5]، وقد قال الله في الآية الأخرى: ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[6].

إن (الرب) و (الإله) في القرآن كلمتان مترادفتان، فهما بمعنى واحد فالمشرك لابد أن يكون أشرك بالربوبية، ولا يعبد الله، ويعبد تلك الأرباب

(١) الآية ٦٦ من سورة يونس.
(٢) الآية ١٣ من سورة فاطر.
(٣) الآية ٣٩ من سورة يوسف.
(٤) الآية ٤٠ من سورة يوسف.
(٥) الآية ٨٠ من سورة آل عمران.
(٦) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

الباطلة ، والدليل على هذا أن كلمة « لا إله إلا الله » تتضمن توحيد عام لا بعضى ، ولو كانت تتضمن توحيد الألوهية فقط – كما يقولون – لاقتضى أن لتوحيد الربوبية كلمة أخرى غير هذه ، ولم يقل أحد بذلك ، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[2].

وأن السنة كالقرآن في ذلك ، ففى حديث رؤية الله – تعالى – : أن كل عابد يتبع معبوده ، فيبقى المؤمنون ، فيتجلى لهم في غير الصورة التي يعرفون ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفون ، فيقولون : أنت ربنا حقا[3].

وقال إبراهيم – عليه السلام – لقومه : ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[4].

وقال يوسف – عليه السلام – وهو يدعو صاحبي السجن إلى التوحيد : ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[5] ، وقال فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[6] ، فهل كان صاحبا السجن – اللذان كانا يعبدان الأصنام – وفرعون مقرين بالألوهية لله ؟ ! .

وقال – سبحانه وتعالى – لنبيه محمد – ﷺ – : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[7].

---

(١) الآية ١١١ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٣٨ من سورة الكهف .

(٣) البخارى : (٨٠٦ ، ٤٥٨١ ، ٦٥٧٤ ، ٧٤٣٨ ، ٧٤٤٠) ، ومسلم : (١٨٢ ، ١٨٣).

(٤) الآية ٨٠ من سورة الأنعام .

(٥) الآية ٣٩ من سورة يوسف .

(٦) الآية ٢٤ من سورة النازعات .

(٧) الآية ١٦٤ من سورة الأنعام .

وتبين بما ذكر من آيات بطلان دعوى من ادعى أن جميع الأمم مقرون بتوحيد الربوبية ، وأن الرسل – عليهم السلام – لذلك لم تدع إليه ، وأنها إنما دعت فقط إلى توحيد الله بعبادته .

والذين ادعوا أن جميع مشركي الأمم مُقِرُّن بتوحيد الربوبية ، وأنهم إنما كفروا فقط لإخلالهم بالألوهية – أي بعبادة غير الله – إنما دعواهم دعوى مناهضة لما سردناه من آيات تدل على إشراك المشركين معبوداتهم في بعض خصائصه تعالى .

وما احتجوا به من آيات فلا دليل فيها وفي أمثالها على دعواهم أن مشركي الأمم مقرون بتوحيد الربوبية – لوجهين :

أولهما : أن دعواهم تشمل جميع مشركي الأمم ، بينما هذه الآيات لم تنزل إلا في مشركي العرب في زمنه – ﷺ – .

ثانيهما : أن التواريخ المروية والمشاهدة تثبت أن طوائف من الناس تنكر وجود الله – كالدهرية ، ومنهم بعض المشركين الذين قالوا : ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [1] ، وطوائف أخرى تنكر وحدانية الله – كالوثنية الذين يقولون بإلهين للخير والشر ، والصابئة عبدة الكواكب الذين أثبتوا للكواكب تدبيراً استحقت من أجله العبادة ، ورفع الحاجات إليها ، واعتقدوا أن لها أثراً عظيماً في الحوادث اليومية ، وسعادة المرء وشقائه ، وصحته وسقمه ، فهل يصدق على هؤلاء الذين يثبتون التدبير لغيره تعالى أنهم موحدون توحيد الربوبية ؟ .

وكذلك أثبت القرآن أن النمرود وفرعون كانا يدعيان الربوبية ، والأول حاج إبراهيم في ربه وقال : ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [2] والثاني قال : ﴿وَمَا رَبُّ

(١) الآية ٢٤ من سورة الجاثية .

(٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1]، وقال أيضاً: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [2]، وقال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [3].

كل هؤلاء وأمثالهم بعيدون عن معرفة الربوبية فضلاً عن الإقرار بالتوحيد بها وقال – تعالى – عن مشركي العرب: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى ﴾ [4].

فأين توحيد الربوبية عندهم؟! وفي قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [5] كذبهم الله سبحانه في نفس الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [6].

فأين إقرارهم بربوبيته تعالى؟ فالنكير في الآية على عبادة غيره – سبحانه وتعالي – وليس التقرب إلى الله زلفي، مما يدل على إشراكهم في العبادة مع الله غيره، وليس اعتقادهم بأنهم شفعاء إلى الله قط [7].

(١) الآية ٢٣ من سورة الشعراء.
(٢) الآية ٣٨ من سورة القصص.
(٣) الآية ٢٤ من سورة النازعات.
(٤) الآية ٣٠ من سورة الرعد.
(٥) الآية ٣ من سورة الزمر.
(٦) الآية ٣ من سورة الزمر.
(٧) هذه المسالة من كتاب (خطأ التقسيم الثلاثى للوحيد)، د. عمر عبد الله كامل، بتصرف.

المبحث الأول

تقسيم التوحيد بين التأصيل الشرعي والحقيقة التاريخية

إن تقسيم التوحيد بهذا الشكل الثلاثي [1] هل يصلح أو ينهض كمهج للدلالة على وحدانية الله تعالى في الظروف والأحوال الفكرية والعقدية ؟ ... وإن لم يكن كذلك فما هو المنهج الصحيح إذا ؟

لاشك في أن هذا المنهج هو الذى جاء به القرآن الكريم وحث عليه وأمر به ، والمتمثل – على وجه النصوص – في النظر والتدبر – بعين البصيرة – في كتاب الله المفتوح .. التكفير والتدبر في الأرض وما أقلت والسماء وما أظلت ، وفي كل ما خلق الله تعالى في الأنفس والآفاق ، وهذا هو منهج أولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ، متفكرين متدبرين في كل ما ذرأ وبرأ ... وهو منهج يقوم على إقناع العقل وإمتاع الوجدان ، وإرضاء العامة والخاصة في آن معاً

ويكفينا من هذا المنهج للدلالة على وحدانية الله – تعالى – قوله – سبحانه وتعالي – : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [2] .

والقرآن الكريم ملئ من أوله لآخره بمثل هذه الآية في المضمون والمعنى ، فكان من الواجب عند قول الحق – سبحانه – : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [3]

(١) وقد يكون غداً رباعياً أو خماسياً .. إلخ ، وهو كله اجتهاد ! سترك يا رب : أ.د/ عبد الباسط مرسى .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ١٩ من سورة محمد .

وقوله – تعالى – : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

كان من المفروض أن يقفوا عند منطوق هذه النصوص – وأمثاله – وتنتهي القضية بلا تعقيدات – ، فلماذا قسموا التوحيد إلى أنواع وأوّلوا وفصلوا ؟! ... وعليه :

✿ إذا كان الله واحداً ، لا من حيث العدد ، فكيف يقسم من لا يتجزأ ؟ وهو الواحد الأحد الفرد الصمد .

✿ إذا كان توحيد الربوبية ، وفق هذا الرأي ، قاسماً مشتركاً بين المؤمنين والمشركين ، فهل يعقل أن يكون أحد الصحابة المبشرين بالجنة هو وأبو جهل سواء بسواء في توحيد الربوبية ؟؟!! انظروا ؟ مالكم كيف تحكمون ؟! .

✿ ومع ذلك لننظر نحن في القرآن الكريم متفكرين متدبرين ومن الآيات التي هي محل النظر والاعتبار هنا قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٢) . فرتب العبادة على الربوبية ، فإننا إذا لم نعتقد أنه رب ينفع ويضر ، فلا معنى لأن نعبده كما سبقت الإشارة إليه ويقول – تعالى – : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (٣) .

✿ ويقول عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (٤) .

وعندما نذهب إلى السنة النبوية نجد قول أبي سفيان يوم أحد : «اعل هبل» ، فأجابه الرسول – ﷺ – : (الله أعلى وأجلّ) .. فانظر إلى هذا القول وقل لي : ماذا

(١) الآية ١٦٣ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٦٥ من سورة مريم .
(٣) الآية ٢٥ من سورة النمل .
(٤) الآية ٣٠ من سورة الرعد .

ترى في ذلك التوحيد ، توحيد الربوبية : هل هم فيه مثل المسلمين سواء بسواء ، وإنما افترقوا في توحيد الألوهية فقط ؟؟!

وما أروع قول الإمام على رضي الله تعالى عنه :

« حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله» [1] وهكذا – كما يقول العلامة د. محمد عبد الله دراز ، رحمه الله ،: « نري أن القطبين اللذين تأسست عليهما الديانة الموحدة التي يدعو القرآن لها ، يقومان إما على حقائق سبق الاعتراف بها ، أو تبني مبادئ واضحة إن أي برهان نظري لا يتطلب أكثر من هذه القوة في التدليل والإقناع » [2] وما زال التساؤل مشروعا ومستمرا : هل هذا التقسيم يتفق مع صريح المعقول وصحيح المنقول ؟

ووصف القرآن الكريم الرب بأنه الخالق المدبر ، المالك المتصرف ، ووصف الله بنفس هذه المعاني .... قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] فقد بدأ النص الكريم بالحديث عن الرب وختم بالحديث عن الله فكان من اللازم على رأي من قسم التوحيد أن يقول الله (اعبدوا إلهكم) حيث كانوا يعرفون توحيد الربوبية ولا يعرفون توحيد الألوهية .

ومن الآيات التي تدل على وحدة التوحيد ، والتنوع في لغة الخطاب، قوله تعالى:

– ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [4] .

---

(١) البخارى .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخى وتحليل مقارن ص ٨٥ .

(٣) الآيات ٢١ ، ٢٢ من سورة البقرة .

(٤) الآية ١ من سورة الأنعام .

- ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (١) .
- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (٢)
- ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (٣) .
- ﴿ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .
- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (٥) .

وهنا نجد التلازم بين الألوهية والربوبية ، فهل يلجأوا إلى التأويل ؟!

المثال الثاني في الرزق : ومن ذلك قوله سبحانه وتعالي :

- ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ (٦) .
- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (٧) .

وبجانب هذه الآيات البينات لم يحدث ولم يثبت عن أحد من السلف فضلاً عن تابعى التابعين ، فضلاً عن التابعين ، فضلاً عن الصحابة الكرام – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – أن دعوا أو قالوا : إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية ؛ لأن هذا يعرفه المشركون ؟!

لم يأت إطلاقاً في سنة النبي – ﷺ – ، والتي هي البيان والتوضيح لكتاب الله

(١) الآية ١ من سورة العلق .
(٢) الآية ٥٤ من سورة الأعراف .
(٣) الآية ٦٨ من سورة القصص .
(٤) الآية ٤٥ من سورة النور .
(٥) الآية ٤٠ من سورة الروم .
(٦) الآية ٢٦ من سورة الرعد .
(٧) الآية ٣٠ من سورة الإسراء .

تعالى ، من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم ، أن النبي - ﷺ - كان يقول لأصحابه ويعلمهم : إن التوحيد ينقسم إلى قسمين : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وأنّ من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية ؛ لأن هذا يعرفه المشركون ؟ ! ..

عن أبي سلمة ، عن شديد بن سويد الثقفي ، قال : أتيت رسول الله - ﷺ - فقلت : إن أمي أوصت أن تعتق عنها رقبة ، وإن عندي جارية نوبية ، أفيجزئ عني أن أعتقها عنها ؟ قال : « ائتني بها ، فأتيته بها ، فقال لها النبي - ﷺ - : من ربك ؟ قالت : الله ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : فأعتقها فإنها مؤمنة »[1] .

هل ظنوا أنه فات على رسول الله - ﷺ - أن يشرح للجارية التوحيد بقسميه واستدركوه هم عليه ؟ ! وهل عندهم اعتراض أو تحفظ على وصفه - ﷺ - لها بأنها مؤمنة بمجرد إقرارها بشهادة التوحيد ؟ !

ألا ما أعظمك سيدي يا رسول الله عندما جئتنا بعقيدة التوحيد السهلة السمحة، الواضحة النقية .

إن عقيدة المسلم في الرب هي بعينها عقيدته في الله ، فالرب هو المستحق للعبادة ، والله تعالى هو الخالق البارئ المصور ، وبالعكس ، وصدق الله حيث يقول : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : « لا يقولن أحدكم : عندي وأمتي ، ولا يقولن المملوك : ربي وربتي ، وليقل المالك : فتاي وفتاتي ، وليقل

(١) أخرجه أحمد ، والماوردى ، وأبو داود ، والنسائى .

(٢) الآية ٥٤ من سورة الأعراف .

المملوك : سيدي وسيدتي ، فإنكم المملوكون ، والرب : الله عز وجل » [1] .

إذا علم هذا :

نجد أن الربوبية صفة من صفات الله – تعالى – وليست قسماً من أقسام التوحيد، لا شكلاً ولا مضموناً ؛ لأن الرب اسم من أسمائه الحسني أجمعت عليه الأمة ، على الرغم من عدم وروده في الرواية المشهورة عن أبي هريرة – رضي الله عنه – .

قال ابن القيم – رحمه الله – : فاسمه « الله » دل على كونه مألوهاً معبوداً تأله الخلائق : محبة وتعظيما وخضوعاً ، ومفزعاً إليه في الحوائج والنوائب . وذلك مستلزم لجميع صفات كماله ، إذا يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ، ولا سميع، ولا بصير ، ولا قادر ، ولا متكلم ، ولا فعال لما يريد ، ولا حكيم في أقواله وأفعاله .

فالربوبية إذا صفة لله تعالى وليست قسماً من أقسام التوحيد ، وإلا جعلنا القيومية مثلاً وهي من أسمائه تعالى القيوم قسماً من أقسام التوحيد أيضاً ... وهكذا في بقية الأسماء ، وبذلك تكون أقسام التوحيد بعدد الأسماء ؟!

يؤثر أن النبي – ﷺ – لم يزل يوم الجمعة وهو قائم بعرفة منذ كان وقت العصر إلى أن غربت الشمس في حجته التي كمل بها الدين وتمت بها النعمة يقول هذه الآية لا يزيد عليها ، فأي عبد شهد لله بهذه الشهادة التي هي شهادة الله لله سبحانه وتعالى بالوحدانية فقد كملت شهادته ، وأتم الله سبحانه وتعالى النعمة عليه ، وهي آية إعلان التوحيد الذي هو منتهى المقامات وغاية الدرجات [2] .

(١) سنن أبي داود .

(٢) تقسيم التوحيد بين التأصيل الشرعي والحقيقة التاريخية ، د . عبد الباسط السيد مرسي .

المبحث الثاني

التشبيه للذات الإلهية

ألفاظ فى نصوص موهمة للتشبيه – جل الله وتعالى –

وردت ألفاظ فى نصوص شرعية : القرآن الكريم ، السنة النبوية ، مثل : « يد » ، « يمينه » ، « يداه مبسوطتان » ، « أيدى » ، « كلتا يديه يمين » ، « أصابع » ، «وجه»، « عين » ، « عيون » ، « رجل » ، « قدم » ، « حقو » ، « ضحك » ، « مشى » ، «هرولة » ....

فى العقيدة السلفية الإثبات على حقائقها اللفظية ، وتفويض معين مما يستلزم بداهة تشبيه الخالق – جل شأنه – بالمخلوق ، ومؤداه عقيدة « إله رب مجسم » ، وهذا الاعتقاد من الخطورة بمكان ، فإلى تفصيل موثق ومبسط معاً بحيادية :

قراءة فى الفكر الوهابى السلفى فى ألفاظ موهمة للتشبيه

من المعلوم لكل ذى بصر وبصيرة أن المسلمين فى شتى الأعصار والأمصار لم يختلفوا فى الأصول الأساسية للدين الإسلامى وهى أركان الإيمان الست : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وأنبيائه وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره » وأركان الإسلام الخمس « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ... » والإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم يكن تراه فإنه يراك » [1] ، وقد تلقت الأمة هذه الأصول بالقبول

(١) أخرجه مسلم كتاب الأيمان ، أحمد ١/ ٥١ .

وآمنت بها وأنفذت أحكامها وذلك من لدن بعثة النبى محمد – ﷺ – إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله – تعالى ، وقد وصف الله – جل شأنه – أمة الإسلام بالخيرية لصدق إيمانها ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [1] وبشّر رسول الله – ﷺ – هذه الأمة بعدم الشرك فقال فى خطبة حجة الوداع (ما أخاف عليكم أن تشركوا من بعدى) [2] ، وأوجب الشارع الحكيم عصمة دماء وأموال وأعراض المقرين الملتزمين لهذه الأركان « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله فى ذمته) [3] ، وقوله : (كل المسلم على حرام : ماله ودمه وعرضه)[4].

والنصوص فى هذا الجانب الأعظم كثيرة والآثار غزيرة والشواهد مستفيضة .

إذا علم هذا :

فإن من المعروف للمشتغلين بالعلم أن أفهام الناس تتفاوت ومداركهم تتباين لذا فإن الفروعيات المتعلقة بهذه الأركان قد يختلف فيها من حيث المعنى والدلالة والحكم وصفته ومناطه وتلك سنة الله فى خلقه ولأن النصوص تتناهى والحوادث والوقائع لا تتناهى ، ومن ثم تناول أهل العلم تلك الفروعيات التى لا نص قطعى الدلالة فيها بالشروح تبعاً لقواعد علمية معتبرة لديهم ومن ثم تعددت وجهات نظر فيما يعرف بالتعددية الفكرية فى العقيدة والفقه الإسلامى وعلوم اللغة وما سوى ذلك من العلوم الإسلامية بما يدل على السعة والرحابة الفكرية

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) السيرة لابن هشام ٢/ ٦٠٣ .

(٣) رواه أصحاب السنن .

(٤) رياض الصالحين ص ٨٥ رقم ٢٣٥

لعلوم الشريعة الغراء والرسوخ الأصيل لدى رجالاتها الذين يستنبطون ما خفى على العوام الأحكام امتثالاً لقول الله – تعالى – : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

وكانت وستظل السمة الغالبة لأهل العلم ومحبيه الحرص على الود والتماس العذر وعدم التعصب .

أولاً : المحكم المتشابه فى القرآن الكريم : يقول الله تعالى – : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (٢) .

وجه الدلالة : أن القرآن الكريم فى جملته ينقسم إلى قسمين : منه ما واضح الدلالة على المراد ، ومنه ما خفيت دلالته على المراد (٣) وواضح الدلالة من غير خفاء هو المحكم ، والمتشابه عكسه (٤) .

وقد تعددت تعاريف العلماء للمحكم والمتشابه لكثرة استعمال هذين الاصطلاحين فى معان متعددة يجعلهما من قبيل المشترك اللفظى (٥) .

أ) أسباب التشابه : علم مما سبق أن مرد التشابه – إجمالاً – الخفاء والغموض المحيط بدلالة اللفظ على المراد وتحديده (٦) .

---

(١) من الآية ٨٣ من سورة النساء .

(٢) من الآية ٧ من سورة آل عمران .

(٣) مناهل العرفان ٣/ ١٦٧ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق ، تفسير القرطبى ٤/ ٩ ، الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/ ٤ ، البرهان ١/ ٨٠ ، أحسن الحديث / محمد سعيد رمضان ص ٧٦ .

(٦) أنوار البيان أد/ زكى أبو سريع ص ٢٣١ .

ومرجع التشابه بالاستقراء إلى ثلاث جهات :

الأولى : ما كان حاصلاً بسبب اللفظ والمعنى .

الثانية : ما كان حاصلاً بسبب المعنى فقط .

الثالثة : ما كان حاصلاً بسبب اللفظ وحده .

وما يتصل بموضوعنا هو : ما كان التشابه فيه حاصلاً بسبب المعنى فقط .

أما ما سواها فمن رام الاستزادة فتطلب من محالها [1] .

ويدخل فى التشابه من حيث المعنى فقط « متشابه الصفات الإلهية » أى ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية عن الصفات الإلهية .

وبالمثال يتضح المقال : قول الله – تعالى – ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [2] .

يدرك القارئ أن معنى (الاستواء) لغة : التمكن من الشئ مع إلماسه .

ومعناه اللغوى هذا بالنسبة للرحمن – تقدست صفاته – محال ، فلزم أن تكون كيفية (الاستواء) فوق إدراك العقول .

وبهذا كان الخفاء من جهة المعنى [3] .

ب) أنواع المتشابه من حيث العلم به :ذكر أهل العلم أنها ثلاثة :

١) ما يمكن معرفته عن طريق البحث العلمى .

٢) ما لا يمكن معرفته البتة مثل ما استأثر الله تعالى بعلمه [4] .

---

(١) الإتقان ٥١٢ ، مناهل العرفان ٢/ ١٧٥ .

(٢) الآية ٥ من سورة طه .

(٣) مناهل العرفان ٢/ ١٧٥ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق ، الإتقان ٢/ ٥ ، تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٢٨ .

أنواع المتشابه الذى كثر الجدال والحوار فيهما كثيرة أبرزها :

- فواتح السور مثل « ألم ».

- متشابه الصفات الإلهية .

وبطبيعة الحال فإن متشابه الصفات الإلهية هو موضوع حديثنا ، وذلك فيما يلى :آيات وأحاديث الصفات الإلهية : منها ما هو محكم كقوله – تعالى – : « قل هو الله أحد » ، « الله لا إله إلا هو الحى القيوم »

ومنها ما هو متشابه كقوله – تعالى – « الرحمن على العرش استوى » ، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[1] ، ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[2] ، وقول النبى – ﷺ – : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول : « من يدعون فاستجب له من يسألنى فأعطيه ، من يستغفر فأغفر له »[3] .

موقف العلماء من آيات وأحاديث الصفات الإلهية :

اتفق العلماء على أن الله – تعالى – يجب له كل كمال قدسى يليق بذاته المقدسة.

واتفقوا على أن المحكم والمتشابه من آيات وأحاديث الصفات الإلهية يجب الإيمان بها ، واتفقوا على أن المحكم فيها يجب الإيمان به على نحو ما دل عليه لفظه ومعناه كوجود الله – تعالى – وقدرته ووحدانيته.. الخ .

واتفقوا على أن الله – تعالى – متصف بصفات الكمال اللائقة به ، وأنه – جل شأنه – تتنزه عن صفات النقص التى لا تليق بذاته العلية . واتفقوا على عدم مشابهة

(١) الآية ١٠ من سورة الفتح .

(٢) الآية ٤ من سورة القمر .

(٣) رواه البخارى ومسلم بسندهما عن أبى هريرة – رضي الله عنه – .

الله – تعالى – لخلقه .

والأصل فى هذا :

نصوص قطعية الدلالة كقوله – تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [1] ، وقوله – سبحانه – : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [2] وقوله – تبارك أسماؤه – : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [3] .

واتفقوا فيما يتعلق بآيات وأحاديث الصفات الإلهية التى يوهم ظاهرها وتركيبها وصياغتها اللغوية على التشبيه بالمخلوق على :

أ) أن القول والعمل بظواهر تلك النصوص مستحيل على الله – تعالى – لأن مؤداه التشبيه وهو محال .

ب) وجوب صرف هذه الظواهر من النصوص إلى ما يليق بأصول الإيمان .

ج) إذا كان المتشابه الواجب صرفه من جهة الظاهر لاستحالته على الله – تعالى – ليس له إلا تأويل واحد يتفق وما يليق بالله – تعالى – من كمال قدسى وجب المصير إليه كقوله – تعالى – : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [4] . فإن المعية الحسية بالذات الإلهية مع الخلق مستحيلة قطعاً ، وليس هناك بعد هذا إلا تأويل واحد وهو : المعية المجازية بالعلم وسائر صفات الكمال [5] .

د) إذا كان نشر الدعوة الإسلامية وإفهام أصول العقيدة للعوام وتفنيد ومزاعم

---

(١) من الآية ١١ من سورة الشورى .

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام .

(٣) سورة الإخلاص بتمامها .

(٤) من الآية ٤ من سورة الحديد .

(٥) مناهل العرفان ٢/ ١٨٢ .

الملاحدة والمشركين يتوقف على التأويل العلمى وجب القول بالتأويل لأن القاعدة الشرعية « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

واختلفوا فيما عدا ذلك على ثلاثة مذاهب من حيث الجملة :

المذهب الأول : السلفى وهو يتفرع إلى فرعين :

الأول : صدر الأمة من الصحابة والتابعين واتباع التابعين فحسب : وهم أهل التفويض أى تفويض العلم والمعنى والكيفية من المراد من هذه النصوص وقرروا : يجب الإيمان لهذه النصوص مع صرف ظواهرها المستحيلة على الله – تعالى – مع تفويض الأمر لله – تعالى – فى المعانى المرادة [1] .

الثانى : أدعياء السلفية (الجماعات الموجودة بالخليج العربى ومصر وغيرها وهو ما يتعصب له حالياً) قرروا بوجوب الإيمان لهذه النصوص وعدم صرف ظواهرها بل إمرارها على الكيفية المرادة أو المتبادرة من النصوص مع وجوب الاعتقاد بأن ما دلت عليه النصوص حقيقة فى جانب الله – تعالى – تخالف ما يتصف به المخلوق ، وعلى هذا الفهم قد فوضوا فى المعنى فقط ولم يفوضوا فى الكيفية .

وبهذا يظهر الفارق بين الإتجاهين فى المذهب السلفى :

الاتجاه الأصلى الأصيل : يفوض المعنى والكيفية معاً .

الإتجاه المدعى : يفوض المعنى ولا يفوض الكيفية [2] .

---

(١) لم يثبت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا عن صحابته ولا عن تابعيهم الخوض أو الكلام مطلقاً فى هذه النصوص من حيث المعنى والكيفية .

(٢) الحموية الكبرى فى مجموعة الرسائل الكبرى ص ٤١٩ ، وانظر : الأسماء والصفات للبيهقى ، إيضاح الكلام للعز بن عبد السلام ١٣١٢ ، المدخل إلى دراسة علم الكلام د / حسن الشافعى ص ٨٠ ، المذاهب الإسلامية للإمام أبى زهرة ص ٣٢٢ ، توحيد الصفات محمود عبد الرازق ص ٩٣ طبعة أولى .

المذهب الثانى : مذهب الخلف : وهم يؤلون النصوص بيد أن لهم اتجاهين .

أولهما : تأويل يؤل النصوص بصفات سمعية غير معلومة لنا يقيناً وهم الأشاعرة [1] .

ثانيهما : تأويل مجمل الظواهر على معنى يليق شرعاً وعقلاً وهم المتأخرون [2] .

المذهب الثالث : التوسط بمعنى الأخذ بالمذهب الأول(الأصلى منه)

والمذهب الثانى فى أمور بمعنى أن تأويل المتشابه إذا كان قريباً من استعمالات اللغة العربية فلا مانع ، وإذا كان بعيداً لم يأخذوا به بل توقفوا وفوضوا معرفة معناه لله – تعالى – [3] .

وقد استدل كل مذهب على ما ذهب إليه بأدلة المنقول والمعقول مما لا يتسع المقام لسرده [4] .

وبإيراد المثال يتضح المقال لكل : قول الله – تعالى – : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [5] ، وقوله : ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [6] وقوله – ﷺ – : «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » الحديث .

فالمذهب الأول : (الأصلى) : ينزهون الله – تعالى – عن ظواهر هذه النصوص لأنها توهم مشابهة الله – تعالى – للمخلوقين ولا يخوضون فى تأويلها ويفوضون العلم والكيفية لله – تعالى – وحده ، فيقولون « الله أعلم بمراده » .

(١) الإتقان ٦١٢ ، مناهل العرفان ٢/ ١٨٥ .

(٢) المرجعان السابقان .

(٣) المرجعان السابقان .

(٤) المرجعان السابقان .

(٥) الآية ٢٧ من سورة الرحمن .

(٦) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

و(المدعى) كسابقه إلا أنه إما أن يفوض العلم ويخوض فى الكيفية وإما أن يفوض الكيفية ويدعون العلم بالمعنى ، وعليه فيقولون له وجه ويد واستواء حقيقى بناء على ما تبادر من اللفظ وما فهم منه فى الذهن مع القول بأن هذه الحواس لها معنى أو كيفية تخالف ما فى المخلوق .

المذهب الثانى : يؤول وذلك على النحو التالى :

- **الفريق الأول** : يثبت لله – تعالى – صفة سمعية : الوجه ، اليد .
- **الفريق الآخر** : يقول الوجه بمعنى الذات ، اليد بمعنى القدرة ، الاستواء بمعنى الغلبة .

وعلى هذا فقد استبان لنا ما يقال عن النصوص الموهمة للتشبيه .

وتثور عدة تساؤلات ؟ !

أين الحق فيما سبق ؟ !

السلفية الأصيلة – لا المدعية – آثروا السلامة فتجنبوا الخوض بالتأويل لذا عبّر عنهم شارح الجوهرة « ومذهب السلف أسلم » وقصدوا التنزيه المطلق لله – تعالى – فلم يقولوا بالحقيقة اللغوية (ظاهر النصوص) وفوضوا الحقيقة الشرعية لله – تعالى – فهم على التفويض المطلق لفظاً ومعنى ، ولذا لم ترد عنهم أثرة من علم فى هذا الأمر سوى التفويض المطلق ، واتجهوا لغرس الإيمان وتعظيم شعائر الإسلام وانشغلوا بمعالى الأمور ففتحوا وسادوا وعزوا وانتصروا.

والمؤولة خاضوا بالتأويل بقصد التنزيه لله – تعالى – عن مشابهة الحوادث إلا أنهم عينوا معانى محددة ، واشتغلوا بمجادلة الصابئة والزنادقة والمبتدعة فلجأوا للأقيسة والمعقولات وكثرت فيهم المجادلات وصنفوا مصنفات لا تغرس إيماناً صافياً ، لكثرة ما اعتنوا من فروعيات ومجادلات ، ولذا أمست مصنفاتهم فى علم العقيدة لا يكاد يخرج القارئ منها بطائل !! .

لكن الحق الذى يجب المصير إليه أن ما رامه الفكر السلفى الأصيل (لا المدعى) إيثار السلامة بقبول النصوص والإذعان لها والتسليم بها لذا فقد سجل القرآن الكريم ونوه عن صدق توجههم ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١) .

والمؤولة قصدوا تنزيه الله – تعالى – عن مشابهته للحوادث فصرفوا ظاهر النصوص المتعلقة بما يوهم التشبيه « كالاستواء ، واليد ، والعين ، والقدم ، والمجئ ، والضحك ، والسخط ، والكره ، والكيد ، ..... » إلى معنى يليق بذات الله – تعال – المقدسة ، ومستندهم :

لو أخذنا بظاهر الألفاظ ودلالتها المعلومة لنا لوقعنا فى محظورات عدة ، منها اعتقاد مشابهته – جل شأنه – للحوادث ، وهو محال ، فوجب اعتقاد ما يليق بالله – تعالى – ذاتاً وصفات ، وعليه فتصرف الألفاظ التى تؤدى إلى ما نهى عنه وما هو محال عليه – سبحانه وتعالى – عن ظواهرها .

يضاف إلى ذلك : أن التأويل فى هذا الجانب لا يقصد منه الفتنة مقصد الذين فى قلوبهم زيغ كما وضح القرآن الكريم ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ ﴾ (٢) ، بل سداً للفتنة ومن سد الفتنة فهو من أهل الهداية لا من أهل الضلالة .

وقد تدبر أعلام السلف الصالح – رضوان الله عليهم – ألفاظ القرآن الكريم ، فى معرض البيان والتفسير ولم يقفوا عند مجرد الدلالة اللفظية المجردة روى البخارى فى صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير – رضي الله عنه – أن رجلاً قال لابن عباس – رضي الله عنهما – : « إننى أجد فى القرآن أشياء تختلف علىّ ؟ قال : ما هو قال : « فلا

(١) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٧ من سورة آل عمران .

أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » و « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » و« ولا يكتمون الله حديثاً » و « قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : « فلا أنساب بينهم » فى النفخة الأولى ، و « لا يتساءلون » فى النفخة الأولى كذلك ، و « أقبل بعضهم على بعض يتساءلون » فى النفخة الثانية وأما « والله ربنا ما كنا مشركين » فإن الله – تعالى – يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، فيقول المشركون : تعالوا نقول : ما كنا مشركين ، فيختم الله على أفواههم فتنطق جوارحهم بأعمالهم فعند ذلك : لا يكتمون الله حديثاً .... »[1] .

والأمور المتشابهات كما أمر الشارع يجب ردها إلى المحكمات (أم الكتاب) ولا يتم ذلك إلا عن طريق النظر والاستدلال والتأويل الحق .

على ضوء ما سلف : التأويل الصحيح غير منهى عنه ، لعدم اتخاذه وسيلة وذريعة للفتنة بل لسدها ووأدها ، أما التأويل الفاسد فهو ما كان مقترنا بالزيغ والإنحراف والضلال والنية السيئة كما قال – تعالى – « فأما الذين فى قلوبهم زيغ».

وبهذا استبان سلامة الوسائل والمقاصد للفكر الأصلى المعتمد (الصحابة والتابعين وأتباع التابعين فحسب » وللفكر الخلفى المنعوت بالتأويل .

فقد اتفق الفكران على مقصد واحد تنزيه الإله الواحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . عن كل نقص وعن كل ما يوهم مشابهته للحوادث.

والقاعدة الشرعية تقرر : « الوسائل لها أحكام المقاصد » و « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

أما أدعياء السلفية الذين يحكمون على الفكر الخلفى فيما نحن بصدده فإنهم تنكبوا الطريق لأنهم وإن فوضوا المعنى (وهذا أمر محمود إذ يتفقون مع الفكر السلفى الأصيل) إلا أنهم لم يفوضوا الكيفية وحملوا ألفاظ النصوص على

(١) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٢٠ .

ظواهرها، فاقتربوا من القول بمشابهته – جل شأنه – للحوادث ، ويؤدى هذا بالضرورة إلى القول بالجسمية !! .

وإنكار أدعياء السلفية « المجاز » لاسيما فى النصوص الشرعية للأخذ بالظاهر فحسب يجعلهم يتفقون مع « الظاهرية » وبالتالى يغلق الباب بالكلية أمام التدبر الواجب فى تلك النصوص ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [1] لأن المتشابه – بداهة – من جهة فهمه وإدراكه يحتاج إلى إعمال فكر» ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [2] فالاستنباط من سمات أهل العلم الذين يبينون للناس حقائق الأمور وأحكامها لاسيما عند التنازع .

وحرى بأدعياء السلفية الذين ينكرون « المجاز » فى النصوص الشرعية دراسة معانى الألفاظ لغة وشرعاً لأن الأسماء اللغوية تنقسم إلى قسمين :

أ) **وضعية** : وهى الألفاظ باعتبار المعانى التى وضعت لها ابتداء .

ب) **عرفية** : وهى الألفاظ التى قصرها العرف على بعض ما وضعت له ابتداء ، أو أذاعها فى معنى مجازى لها .

ومثال الوصف : سكين ، منشار .... الخ

العرفى : لفظ الدابة « لما وضع ابتداء » ولفظ الرواية « لما أذيع فى معنى مجازى » ، وهذه الألفاظ (أو الأسماء) قد تصرف الشارع فى ألفاظها كما تصرف العرف فيها فخصص بعض الأسماء ببعض مسمياتها كألفاظ الإيمان والحج والصوم ونحوه ، كما صنع العرف فى معنى الدابة ، وأطلق بعض الألفاظ على ما له صلة بمعناها ، فلما أطلق لفظ (محرمة)على الخمر والمرأة التى يحرم التزوج بها[3] .

---

(١) الآية من سورة محمد .

(٢) الآية ٨٣ من سورة النساء .

(٣) المستصفى ١/ ٣٣٦ ، الإحكام للآمدى ١/ ٤٨ .

من أجل ذلك فإن الفقهاء وجدوا علاقة اللفظ بالمعنى له عدة اعتبارات وعليه فقد قسموا اللفظ بالإضافة إلى المعنى عدة تقسيمات :

أ) باعتبار المعنى الذى وضع له : خاصاً ، وعاماً ، وجمعاً منكراً ، ومشتركاً

ب) باعتبار المعنى الذى استعمل فيه : حقيقة ومجاز ، وصريحاً وكناية .

ج) باعتبار طرق الوقوف على مراد المتكلم منه : دال بالعبارة ، ودال بالإشارة، ودال بدلالته ، ودال باقتضائه [1] .

إذا علم هذا : فقد اتضح تهافت أدعياء السلفية فى إنكار المجاز فى النصوص الشرعية وما أنكارهم إلا للقول بإجراء اللفظ على ظاهرة فيما يتصل بموضوعنا هذا وهو قولهم « بالكيفية »

ومما يدل على نزعتهم للقول « بالكيفية » ما صرحوا به فى كتبهم من إثبات ما ورد ما يوهم مشابهته – تعالى – للحوادث على معناه الظاهرى والمتبادر فأثبتوا لله – تعالى – اليد والعين والقدم والاستواء والمجئ والنزول والغضب والفرح والكيد وما ماثل ذلك غاية ما قالوه إن هذه الحواس لله – تعالى – تخالف حواس المخلوق !! .

ولأجل محاولاتهم إثبات « الكيفية » لمدلولات ألفاظ النصوص الموهمة للتشبيه نفوا أن تكون هذه النصوص من المتشابهات وجعلوها من المحكمات .

والقارئ لكتبهم يجد التاقض المخزى فقد أنكروا (المجاز) وشنعوا على (التأويل) وقالوا بالمجاز والتأويل فى نصوص شرعية لاسيما آيات وأحاديث الصفات الإلهية مثل :

« بل يداه مبسوطتان » ، « أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا » ، « ما منعك أن

(١) انظر مباحث الألفاظ ودلالتها فى كتب أصول الفقه المعتمدة .

تسجد لما خلقت بيدى » ، « والسماوات مطويات بيمينه » ، « كلتا يديه يمين » ، «ولتصنع على عينى» ، « تجرى بأعيننا» ، « وهو معكم أينما كنتم » « ونحن أقرب إليه » ، « وهو الذى فى السموات والأرض إله » ، « وهو الله فى السماوات وفى الأرض » .

فالقارئ لكتب أدعياء السلفية يجدهم يركنون للتأويل فى هذه النصوص لا محالة فإذا كان المجاز على حسب معتقدهم لا وجود له فى النصوص الشرعية وإذا كان التأويل كزعمهم علامة الفساد والضلال وإذا كانت آيات وأحاديث الصفات الإلهية كلها من المحكم أفلا يؤدى هذا إلى القول لا قدر الله تعالى – بالتناقض فى النصوص ؟ ! لأنها محكمة كلها من وجهة فكر مدعى السلفية وبالتالى فهى على الحقيقة اللغوية وبالتالى لا مجاز ولا تأويل ؟ فلم يبق إلا القول بإجراء الظاهر فقط ويترتب عليه التناقض ! أو القول بالمجاز والتأويل فى مواضع وأنكروهما فى مواضع ؟ ! وهل هكذا تكون قدسية النصوص ؟ ! وعرض معانيها؟.

وأدعياء السلفية فإن تلك النزعة ظهرت إثر كتابات لم تفقه مبناها ولم يتدبر معناها فألصقوا بالأئمة أقوالاً أو فسروا أقوالهم تبعاً لمبادئ فكرهم والإمام الفقيه الحنبلى الخطيب « ابن الجوزى » تصدى لهم نافياً أن يكون ذلك رأى الإمام أحمد بن حنبل فقال ما نصه « ... رأيت من أصحابنا من تكلم فى الأصول بما لا يصلح ، فصنعوا كتباً شانوا بها المذهب ورايتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام ، فحملوا الصفات على مقتضى الحس ، فسمعوا أن الله – تعالى – خلق آدم على صورته ، فأثبتوا له صورة ووجها زائداً على الذات ، وفما ولهوات وأضراساً ، وأضواء لوجهه ، ويدين وأصبعين وكفاً ، وخنصراً وإبهاماً ، وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين ، وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس ، وقد أخذوا بالظاهر فى الأسماء والصفات ، فسموها بالصفات تسميات مبتدعة ، ولا دليل لهم فى ذلك من النقل ، ولا من العقل ، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة

لله – تعالى – ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من صفات الحديث ، ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل ، حتى قالوا صفة ذات ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل « يد » على قدرة ونعمة ، ولا مجيء وإتيان على معنى بر ولطف، ولا ساق على شدة ، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين ، والشيء إنما يحمل على حقيقته إن أمكن ، فإن صرف صارف حمل على المجاز ، ثم يتحرجون من التشبيه ، ويأنفون من إضافته إليهم ، ويقولون : نحن أهل السنة !! ، وكلامهم صريح فى التشبيه ، وقد تبعهم خلق من العوام ، وقد نصحت التابع والمتبوع ، وقلت لهم يا أصحابنا ، أنتم أصحاب نقل وإتباع ، وإمامكم الأكبر « أحمد بن حنبل » يقول : كيف أقول ما لم يقل ، فإياكم أن تبتدعوا من مذهبه ما ليس منه ، ثم قلتم فى الأحاديث ، تحمل على ظواهرها ، فظاهر القدم الجارحة ، ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه – سبحانه – مجرى الحسيات ، وينبغى ألا يهمل ما يثبت به الأصل ، وهو العقل ، فإنا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم ، فلو أنكم قلتم بقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر أحد عليكم،وإنما حملكم إياه على الظاهر قبيح ، فلا تدخلوا فى مذهب هذا الرجل السلفى ما ليس فيه »[1] .

ووضح بهذا أن السلفية الأصيلة شيء ، وإدعائها شيء آخر[2] .

والخلاصة التى يجب إيرادها :

أولاً : أن الفكر السلفى الأصيل (عصر الرسول – ﷺ – وأصحابه واتباعهم واتباع اتباعهم) فوض المعنى والكيفية فكانت النصوص الموهمة للتشبيه عنها : «الله أعلم بمراده » شأنها شأن ما استأثر الله – تعالى – بعلمه كالحروف المقطعة أوائل السورة ألم ، حم ، حمعسق ..... الخ .

(١) دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .

(٢) المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٣١٩ وما بعدها .

ثانياً : أن أدعياء السلفية من بعض دعاة الكيفية فائبتوا الظاهر الحسى .

ثالثاً : أن الفكر الخلفى جنحوا إلى تأويل المعنى والكيفية تأويلاً تصرف به ظواهر النصوص الموهمة للتشبيه إلى معنى يليق بذات الله – تعالى – .

تنبيهات مهمة فى ألفاظ موهمة للتشبيه

١) قول الله – عز وجل – : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [١] .

وجه الدلالة : الأمة المسلمة منذ عهد النبوة الخاتمة والصحابة – ﷺ – والتابعين – ﷺ – لم يشتغلوا بتأويلها بتعيين معنى محدد خاص ، وما نسب للإمام مالك – ﷺ – خطأ وتدليس ، لم يصرح به ، إنما الصحيح ما رواه البيهقى فى الأسماء والصفات بسنده أن الإمام مالكاً – ﷺ – لما سئل قال : « الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة » أخرجه فأخرج الرجل [٢]

وما يدعيه ويزعمه السلفيون (نثبت ما أثبته الله لنفسه الاستواء على العرش) باطل جملة وتفصيلاً ؛ لأنهم يريدون باستواء الله استواء الأجسام !! والحق أن الاستواء الذى اثبته القرآن الكريم ليس الاستواء الذى يريدونه ، من الاستقراء والجلوس ، فإن لفظة « الاستواء » لها استعمالات فى لغة العرب مثل : القهر .

٢) قول الله – تبارك وتعالى – : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [٣] ، قوله – ﷺ – : «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »[٤] ، ففسرت بأن « مَنّ فى السماء » : الملائكة فى تأويل النصين .

---

(١) الآية ٥ من سورة طه .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى ص ٤٠٨ – بتصرف – .

(٣) الآية ١٦ من سورة الملك .

(٤) سنن الترمذى كتاب البر والصلة : باب ما جاء فى رحمة المسلمين .

وتساؤل للسلفية لعله يحرك جمود أذهانهم : هل الله – عـز وجـل – لـه حسـب تصوركم « يد » أم « يدان مبسوطتان » ، أم « أيدى » أم « يمينه » - وكلها ألفـاظ فى آيات قرآنية – أم « كلتا يديه يمين » – كما فى الحديث النبوى الصحيح - ؟ .

هل من جواب ؟! .

obeikan.com

المبحث الثالث

الجهة الحسية للذات الإلهية

بدعة الجهة الحسية لله – عز وجل –

يعتقد السلفيون أن الأرض ثابتة لا تدور [1] مما حدا لابن باز فى كتابه « الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى السماء » أن يفتى ما نصه :

إن من يقول إن الأرض تدور كافر ضال مضل يستتاب فإن تاب ، وإلا قتل كافراً مرتداً ، ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين كما نص على مثل هذا أهل العلم والإيمان فى باب حكم المرتد .

وعليه ففى نظرهم أن الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية ذات اللون الأزرق أو اللبنى هى السماء ! ، وأن الله – تبارك وتعالى – داخلها دون تحديد منهم لأى درجة من درجات السماء الأولى أو الثانية أو الثالثة إلخ ومنهم من يقول فوق السماء السابعة !!

ويستدلون بظاهر قول الله – تعالى – ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [2] وتعامى وتغابى المتسلفون أن النصوص الشرعية جاءت لضرب مثل وليست لإثبات جهات لله – جل شأنه – حيث جاءت نصوص تدل فى سياقها على معانى غير ما يعتقده

(١) كتاب الأرض ثابتة لا تدور ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٩٥هـ ، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٢) الآية ١٦ من سورة الملك .

هؤلاء فمن ذلك :

قال الله – تبارك وتعالى – : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١) ، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) ، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (٤) .

وعقيدة السلفية فى إثبات الجهة الحسية مسافة ومساحة لله – عز وجل – تضاهى عقيدة النصارى فى وجوده – تعالى – عن ذلك علواً كبيراً فى السماء بقولهم: « أبانا الذى فى السماء » !! الله – سبحانه – أعظم من مكان يحتويه ويشتمل عليه فهو « الله أكبر » و « كان الله ولا شىء معه » ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ (٥) فقال « إلى » ولم يقل « على » .

مسألة : استقراره – سبحانه وتعالى – على العرش

من مبتدعات ابن تيمية – غفر الله له – القول بأن الله – عز وجل – مستقر على العرش ، وأنه ينزل منه نزولاً حسياً كل ليلة فى السدس الأخير أخذاً بظاهر قول الله – عز وجل – ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (٦) ، قول النبى – ﷺ – « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول : « من يدعون فاستجب له من يسألنى فأعطيه ، من يستغفر فأغفر له » (٧) ، وخالف كل الأمة فى جميع الأعصار والأمصار ، وابتدع بدعة منكرة .

---

(١) الآية ٨٤ من سورة الزخرف .
(٢) الآية ٣ من سورة الأنعام .
(٣) الآية ١١٥ من سورة البقرة .
(٤) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .
(٥) الآية ١١ من سورة فصلت .
(٦) الآية ٥ من سورة طه .
(٧) رواه البخارى ومسلم بسندهما عن أبى هريرة – رضي الله عنه – .

خلاصة العقيدة الإسلامية لا السلفية فى مفهوم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ : الرحمن – عز وجل – استوى على عرش ملكه استواء يليق بذاته بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ، وقدر ذكر لفظ « العرش » فى إحدى وعشرين آية قرآنية ، وذكر جمهرة من العلماء الراسخين أن الاستواء يفوض حقيقة إلى الله – عز وجل فلا كيف ، ولا انحصار ولا تشبيه ولا تمثيل ، لاستحالة إتصافه – سبحانه – عما لا يليق به ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (١) .

وأنه يجب الإيمان بها – أى الآية – كما وردت (٢) .

يأبى ابن تيمية إلا أن يمثل تمثيلاً حسياً حيث صعد على المنبر بدمشق وجلس على المنبر وقال : كجلوسى هكذا ونزل درجة وقال : وينزل كنزولى هكذا ، مما حدا أئمة العلم إلى طلب محاكمته .

والتصور الطفولى العبثى للسلفية فى مسألة « نزوله – سبحانه – كل ليلة إلى السماء الدنيا .... » مؤداه عدم استوائه مطلقاً على العرش لاختلاف المواقيت الزمانية على سطح الكرة الأرضية !! .

وتأبى السلفية إلا تكفير من لم يقل بوجود الله – عز وجل – فى العلو الحسى ، فقد جاء فى كتاب « فتاوى علماء البلد الحرام » (٣) ، ما خلاصته :

الأستواء هو العلو والارتفاع فوق العرش ، وأنه فى السماء وأنه فى العلو وأن القول بغير ذلك كفر وضلال (٤) .

---

(١) الآية ١١ من سورة الشوري .

(٢) تفسير البيان للشيخ مخلوف ١/ ٢٩٤ .

(٣) إعداد خالد عبد الرحمن الجريسى ، الرياض – السعودية حيث جمع فتاوى لابن باز ، وابن عثيمين وابن جبرين وفوزان الفوزان .

(٤) مجلة الدعوة العدد ١٢٨٨ لابن باز ، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١/ ١٣٢١ وما بعدها .

المبحث الرابع

تنقيص النسب النبوي المحمدي الشريف

شبهات وردود

أورد مجترئون شبهات عديدة فى مصيرى والديه - ﷺ - حيث يرون أنهما كافرين معذبين فى النار !! .

١) أخبار نبوية :

أ) عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله - ﷺ - : اين أبى ؟ قال : « فى النار » فلما مضى دعاه فقال : « إن أبى وأباك فى النار » [١] .

ب) عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أستأذنت ربى أن استغفر لأمى فلم يأذن لى واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى » [٢] .

وجه الدلالة : دل الخبر الأول بظاهره « إنّ أبى وأباك فى النار » والثانى على أن عدم الإذن بالاستغفار لأمه يدل على كفرها ! .

***

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار ٢/ ٩٠ .
(٢) صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب استئذان النبى ربه عز وجل فى زيارة قبر أمه

obeikan.com

المناقشة

مناقشة سند الحديثين : خبر « أن أبى وأباك فى النار » .

خبر شاذ : والشاذ من الأحاديث : ما رواه الثقة مخالفة الأوثق أو غيره من الثقاة حيث لم يتفق عليه الرواه فقد خالفه معمر بن راشد عن ثابت عن أنس فلم يذكره ولكن قال : إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، ولا دلالة فى هذا اللفظ على حال الوالد ، وهو أثبت ، فإن معمراً أثبت من حماد فإن حماداً تكلم فى حفظه ووقع فى أحاديثه مناكير ، ولم يخرّج له البخارى ولا خرّج مسلم فى الأصول إلا من روايته عن ثابت ، وأما معمر فلم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شئ من حديثه ، واتفق على التخريج له الشيخان ، فكان لفظه أثبت [1] .

فرواية معمر بن راشد هو المحفوظ ، وهو أوثق من حماد بن أبى سلمة .

وقد قدح فى رواية حماد غير واحد من آئمة العلم منهم الإمام احمد بن حنبل والإمام الذهبى ، وكان البخارى يترك حماداً [2] .

يضاف إلى ما ذكر : أن خبر « إن أبى وأباك فى النار » خبر آحاد ، وأخبار الآحاد لا تثبت بها عقائد ومنها « الغيبيات » ومثله خبر « استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى.... » .

على ضوء هذا : فإن الحديث الذى رواه الثقة لكن خالفه الأوثق أو باقى الثقاة ، فإن هذا الحديث بصير عنده مردوداً غير مقبول ولا يصلح لاتخاذه حجة ، وهو الحديث الشاذ عند علماء مصطلح الحديث .

مناقشة المتن : الحديثان على فرض أن رواهما ثقة ، لكن عارضا القرآن الكريم، يصيران مردودين غير مقبولين ولا يصلحان لاتخاذهما حجة ، وهو الحديث

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٦٥ .
(٢) طبقات الحفاظ ١/ ١٦ ، السلسلة الضعيفة .

المعلل بعلة فادحة عند علماء مصطلح الحديث ، وهو أحق بالرد لأن المعارض له قطعى الورود وقطعى الدلالة ألا وهى الآيات القرآنية المحكمة ومنها قوله – سبحانه – ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [1] ، وهذا النص قطعى الدلالة لا يحتمل غير ما يدل عليه لفظه بالمطابقة ، وعموم الآيات المحكمة التى لا ناسخ لها من القرآن الكريم ولا مخصص لها الدالة على عذر أهل الفترة بأنهم لم يأتهم نذير وماتوا دون إدراك رسالة الإسلام أنهم ناجون [2] .

ومما استدل به مجترئون قائلون بكفر وعذاب والديه – ﷺ – خبر : « إن القبر الذى رأيتمونى أناجى فيه : قبر أمى آمنة بنت وهب ، وإنى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ، فاستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى ونزل علىّ قوله – تعالى – ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [3] .

وجه الدلالة : أن منعه من الاستغفار لأمه يدل على كفرها مثل منع سيدنا إبراهيم – عليه السلام – من الاستغفار لأبيه الكافر .

المناقشة :

أ) مناقشة سند الحديث :

الحديث أخرجه ابن حبان والحاكم عن ابن جريج عن أيوب بن هانئ عن مسروع بن الأجدع من حديث عبد الله بن مسعود وأورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الضعيفة [4] .

---

(١) الآية ١٥ من سورة الإسراء .

(٢) أضواء القرآن فى تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطى – الآية ١٥ من سورة الإسراء – .

(٣) الآيتان ١١٣ وما بعدها من سورة التوبة .

(٤) السلسلة الضعيفة للألبانى رقم ١٣١ .

ولسبب نزول الآيتين أنهما نزلتا فى حق عمه أبى طالب لما حضرته الوفاة وعرض عليه رسول الله - ﷺ - فتردد ورفض مجاملة أو مخافة من قومه ، وقد أورده البخارى ومسلم [١] وهذا غير صحيح لأن الآية مدنية وأبو طالب مات في العهد المكي.

والقياس فى الحديث الضعيف قياس منع استغفاره لأمه على منع إبراهيم – عليه السلام – من الاستغفار لأبيه قياس مع الفارق لأن أبا إبراهيم رأى وسمع وتلقى دعوة أبيه [٢] ، بينما أم النبى - ﷺ - لم تتلق دعوة ولم يكن رسول الله - ﷺ - آنذاك بنبى فسقط القياس

تنبيه : لا أميل لتكلف بعض أهل العلم فى حمل خبر (أن أبى وأباك فى النار) على العم أبى طالب الذى بلغته الدعوة وليس على أبيه عبد الله الذى لم تبلغه الدعوة واللغة العربية تطلق على العم لفظ الأب [٣] ولا حاجة لتكلف وقد ثبتت نجاته بتعيين ولا على أن الله – تعالى – أحيا والديه له - ﷺ - حتى آمنا برسالته [٤] لضعف هذا ووضعه .

ولا القول بالتوقف بدعوى تكافؤ الأدلة كقول الإمام الابادى [٥] وهذا القول غير مسلم لأن نجاة والديه - ﷺ - ثابتة بالنص القرآنى قطعى الورود وقطعى الدلالة وعمومه وإحكامه وعدم نسخه ، فكيف يتساوى فى خبر ظنى الورود ظنى الورود حمّال أوجه ، خبر آحاد لا يستدل به فى العقائد معارض للقرآن الكريم ولا بقول أنهما – أى والديه – يطيعان عند السؤال يوم القيامة كغيرهم من أهل الفترة لخبر : « .... وأما الذى مات فى الفترة فيقول : ربّ ، ما أتانى لك رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، قال : فوالذى نفسى محمد بيده،

(١) أضواء القرآن فى تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطى – الآية ١٥ من سورة الإسراء - .
(٢) راجع الآيات ٤١ وما بعدها من سورة مريم .
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٦ ، الروض الآنف للسهيلى ٢/ ٨ .
(٤) الروض الآنف للهيلى – مرجع سابق - .
(٥) عون المعبود بشرح سنن ابى داود ١٠/ ٢٣٦ .

لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً [1] .

وجه الدلالة : هذا فى حق من مات فى الفترة ، والشيخ الهرم ، ومن ولد آله أصم، ومن مات مجنوناً أو طرأ عليه الجنون قبل أن يبلغ [2] .

فكل هذا تكلف وقد يستأنس به تقوية ، إلا أن المعول عليه النصوص الشرعية المحكمة القاطعة بنجاتهما بيقين .

وعليه

تضافرت الأدلة الشرعية من نصوص القرآن الكريم – قطعية الورود والدلالة ، والأحاديث النبوية – قطعية الدلالة – والاستنباط السليم لآئمة علم تراثيين ومعاصرين ، على نجاة والديه الكريمين سيدنا عبد الله ، وسيدتنا آمنة – عليهما السلام – وأنهما من أهل الفترة ، ودليل المعقول بوجوه معتبرة .

وضعف وسقوط استدلالات الشاذ المجترئ المفترى .

تحقيق نجاة والديه - ﷺ -

تضافرت أدلة شرعية معتمدة على نجاة والديه - ﷺ - : عبد الله بن عبد المطلب ، آمنة بنت وهب ، فى الدنيا والآخرة مما يقطع بتعين دخولهما بفضل الله – عز وجل – وإكرامه ورحمته – الجنة . فمن ذلك :

أولاً : دخولهما فى أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة الرسول السابق سيدنا عيسى المسيح – عليه السلام – على سيدنا محمد - ﷺ - وكان بينهما حوالى ستمائة سنة تقريباً . قال الله – عز وجل - ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [3] .

(١) مسند احمد السلسلة الصحيحة رقم ١٤٣٤ .
(٢) الإصابة فى معرفة الصحابة – ترجمة أبى طالب ٣/ ٣٥٧ .
(٣) الآية ٢ من سورة الجمعة .

وعلى هذا فأهل الفترة ناجون ، ويدخل الوالدان الكريمان لسيدنا محمد - ﷺ- فى عموم نجاة أهل الفترة وقد أطبق على هذا الاستدلال أئمة علم تراثيين منهم :

- الأُبى المالكى – شارح صحيح مسلم - .
- الحافظ ابن حجر العسقلانى – شارح البخارى - .
- القسطلانى – شارح البخارى - .
- السندى الكبير – حاشية سنن النسائى - .
- العجلونى – محدّث الشام - .
- أبو إسماعيل الهروى الحنبلى – مغازى السائرين - .
- ابن العربى المالكى .
- ابن الجوزى الحنبلى .
- شرف الدين يحيي بن محمد الشافعى .
- الأجهورى المالكى .
- ابن عابدين الحنفى .
- محمد الأمين الشنقيطى .
- الباجى – فى شرحه على الموطأ - .
- الإمام السيوطى – مالك الحنفا ضمن كتاب الحاوى للفتاوى.

تحقيقات علمية وتراثية :

- مواهب الجليل ، الذخيرة للقرافى ، الشفا للقاضى عياض ، المنتقى للباجى.

obeikan.com

ومن الباحثين المعاصرين :

- الشيخ عطية صقر ، رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف[١] .
- الدكتور / أحمد سعد ، أستاذ الفقه الإسلامى بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة[٢] .
- أ . د / صبرى المتولى ، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر (مصير أبوى رسول الله - ﷺ - الاحتجاج بالكتاب المقدس والسنة على أنهما من أهل الفترة وماتا على الفطرة[٣] .
- المؤلف الراجى عفو ربه أ.د / أحمد محمود كريمه ، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر بالقاهرة[٤] .

ومن المؤسسات العلمية : دار الافتاء المصرية .

واستدلوا بأدلة القرآن الكريم منها :

- قول الله – عز وجل - { وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ }[٥] .

وجه الدلالة : تنقلك من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة حيث أطبق الآئمة الثقاة على أن معنى قول الله – عز وجل - ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[٦] .

---

(١) فتوى موثقة ، مايو ١٩٩٧ م .

(٢) بحث منشور بكتاب (إراحة الأنام فى راجح ودليل الأحكام) حـ ١ نشر مؤسسة التآلف بين الناس الخيرية تأسيس ورئاسة أ.د / أحمد محمود كريمه .

(٣) بحث غير منشور .

(٤) فى كتاب (السلفية بين الأصيل والدخيل) .

(٥) الآية ٢١٩ من سورة الشعراء .

(٦) الآية ٣٥ من سورة إبراهيم .

جميع ذريته ما تناسلوا حتى محمد - ﷺ - [1] وأفرد وأطنب العلامة السيوطى فى مصنفه الماتع : التعظيم والمنة فى أن أبوى رسول الله - ﷺ - فى الجنة .

وقد قال الإمام الألوسى : واستدل بالآية { وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ }[2] على إيمان أبويه - ﷺ - كما ذهب إليه كثير من أجلة أهل السنة ... أ.هـ .

أخبار وآثار منها :

عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا ، حتى كنت من القرن الذى كنت فيه »[3] ، « أنا خيرهم نفسا ، وخيرهم بيتا »[4] ، « إن الله - عز وجل - اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم »[5] .

وجه الدلالة : أنه - ﷺ - من طيب إلى طيب إلى صلب عبد الله ، وقد قال الإمام ابن الجوزى الحنبلى بقوله : باب فى طهارة آبائه وشرفهم[6] ومؤدى هذا - كما يستنبط فضيلةأ.د / صبرى المتولى - أحسن الله - تعالى إليه - : ولا شك أن الطهارة التى وصف بها آباؤه المؤمنون - ﷺ - أقربهم : عبد الله وآمنة - .

استدل الإمام ابن كثير على تفسيره لقول الله - عز وجل - ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[7] بأحاديث منها : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . أن الله

---

(١) انظر : جامع البيان للطبرى ، وفتح القدير للشوكانى ، ومفاتيح الغيب للرازى ، وروح المعانى للألوسى ، لطائف الإشارات للقشيرى ، البحر المحيط ، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ، التحرير والتنوير لابن عاشور ، وغيرهم .

(٢) الآية ٢١٩ من سورة الشعراء .

(٣) صحيح البخارى - كتاب المناقب - ، باب صفة النبى - ﷺ - مسند احمد - مسند المكثرين .

(٤) صحيح الترمذى كتاب المناقب ، باب فضل النبى - ﷺ - ونسبه .

(٥) صحيح مسلم - كتاب الفضائل - ، باب فضل نسب النبى - ﷺ - .

(٦) صفوة الصفوة : ١/ ٥١ .

(٧) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .

خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه وجعلهم فرقتين ، فجعلنى فى خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا » (١) .

وقال الإمام المناوى : «أودع ذلك النور الذى كان فى جبهة آدم – عليه السلام – فى جبهة عبد المطلب ثم ولده وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية ، وأعلم أن بنى إسماعيل – عليهم السلام – بالأخلاق فضّلوا لا باللسان العربى فحسب ، إنهم أذكى الناس أخلاقاً ، وأطيبهم نفسا » (٢) .

آثار ومواقف منها :

أ) روى أن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – أنه أمر بكاتب يكتب له يكون أبوه عربياً ، فقال كاتبه : قد كان أبو النبى – ﷺ – كافراً ، فغضب وقال : جعلته – ﷺ – مثلاً ! لا تكتب لى بعد اليوم (٣) .

ب) سئل القاضى أبو بكر بن العربى – رحمه الله تعالى – عن رجل قال : إن أبا النبى – ﷺ – فى النار ، فأجاب : أن من قال ذلك فهو ملعون ، لقوله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٤) ، وقال « ولا أذى أعظم من أن يقال فى أبيه : أنه فى النار (٥) .

دليل المعقول : بوجوه منها :

أ) أن الله – سبحانه وتعالى – من أسمائه « العدل » وأوجب على خلقه « العدل» ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١/ ١٩ .
(٢) فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٢١٠ .
(٣) الذخيرة للقرافى ١٢/ ٢١ .
(٤) الآية ٥٧ من سورة الأحزاب .
(٥) مواهب الجليل ٦/ ٢٨٦ .

وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]

فالثواب والعقاب يتعلقان بالتكليف الشرعى الذى هو :

- **لغة** : مصدر كلّف ، قال الله – تعالى – ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[2] .

واصطلاحاً : طلب الشارع ما فيه كلفة من فعل أو ترك ، وهذا الطلب من الشارع بطريق الحكم ، وهو الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير[3] .

ويتشرط فى التكليف : بالنظر إلى المكلف وهو المحكوم عليه : فهم المكلف لما كلف به ، بمعنى قدرته على تصور ذلك الأمر والفهم من خطاب الله – جل جلاله – بقدر يتوقف عليه الامتثال ، وهو محال عادة وشرعا ممن لا شعور له بالأمر[4] .

ومن الشروط : البلوغ ، العقل .

وفى الإيمان (الاعتقاد) : بلوغ دعوة النبى – ﷺ – .

وفى العبادات : القدرة والاستطاعة على الأفعال .

وفى المعاملات : الاختيار (الإرادة) .

واتفق الفقهاء – فى الجملة – على هذا .

وبإنزال هذا على موضوع البحث (مصير أبويه – ﷺ –)

فإن أبويه – ﷺ – لم تبلغهما دعوة الإسلام فأبيه عبد الله مات ورسول الله – ﷺ –

---

(١) الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٢) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٣) جمع الجوامع ١/ ١٧١ ، إرشاد الفحول ص ٦ ، التلويح على التوضيح ١/ ١٣ .

(٤) المستصفى ١/ ١٠٥ ، فواتح الرحموت ١/ ١٤٣ ، كشف الأسرار ٤/ ٢٤٨ ، إرشاد الفحول ص٦ .

حمل فى رحم أمه .

وأمه ماتت ورسول الله - ﷺ - وعمره ست سنوات . فأين التكليف المترتب عليه الثواب بالامتثال أو العقاب بالترك والإهمال ! .

ب) العمل العلمى السليم لا يكون (إنتقاء) أى : انتقاء عبارة من العبارات ، أو فصل سياق فى آية أو حديث ، أو عدم فهم دلالات لغوية وشرعية سليمة ، بل فى الأمور المهمة (استقراء) .... فهل تهمل آيات قرآنية محكمة وأحاديث نبوية صحيحة تدل على نجاة أهل الفترة وفيهم ومنهم أبوى رسول الله - ﷺ - بيقين ، ويخصص عام بلا مخصص ، ويقيد مطلق بلا قيد ! بمعنى أن تستثنى من النجاة من أهل الفترة أبويه - ﷺ - ، وتكون المؤاخذة أنهما أبويه - ﷺ - وبناء على المؤاخذة فى الخبل والهطل يدخلان النار . ! .

ج) لليهود أن يفخروا بسيدتنا أم موسى - عليه السلام - أن يفخروا بها لثناء القرآن الكريم عليها [1] .

ونحن معهم فى هذا .

وللنصارى أن يفخروا بسيدتنا مريم - عليها السلام لثناء القرآن الكريم فى غير موضع [2] .

فماذا عن أبوى - سيدنا محمد - ﷺ - أمن الأدب والإنصاف وصمهما بالكفر والشرك والحكم عليهما بدخول النار !! لأى ذنب ! ولأى عيب ؟ ! وهل مثل هذا تقدم سيرة - رسول الله - ﷺ - ؟ أليس الذم والمدح والقدح والطعن فى والديه مفاسد ! وإذا اجتمعت المفاسد والمصالح فى فقه الموازنات (دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح) .

(١) الآيات ٧ وما بعدها من سورة القصص .
(٢) سورة آل عمران ، التحريم ، الأنبياء ، وغيرها .

ء) من القواعد المقررة (الحق لا يخرج عن السواد الأعظم) لأنه (لا تجتمع أمتى على ضلالة) فالسواد الأعظم من أئمة العلم على نجاة والديه - ﷺ - .

ومن شد عن إجماع الأئمة فلا يلتفت إليه مثل على القارى - غفر الله له - وتلقف هذيانه فرقة الوهابية المتسلفة الكارهة لأصوله - أبويه - وفروعه سادتنا آل البيت - ﷺ - لأمور سياسية معروفة من إخفاض وإخفاء آل البيت إرضاء لحكام لا ينتمون لآل البيت فى مواطن معروفة ، وما يوجهونه ضد أولياء الله الصالحين - ﷺ - قديماً وحاضراً من تنقيص واحتقار وتهوين لا يحتاج إلى برهان! أليسوا أقروا الاحتفالات بمناسبات وطنية (اليوم الوطنى) واجتماعية (الجنادرية مثال) وحرموا الاحتفال العلمى بالمولد النبوى الشريف بدعوى (البدعة)! .

رد أئمة العلم على خلط وجرأة على القارى ومن سار على دربه من وهابية متسلفة علماء أجلاء منهم :

- أبو نعيم (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) .
- القشيرى (لطائف الإشارات) .
- القاضى عياض (شارع مسلم ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى) .
- الفخر للرازى (تفسير مفاتيح الغيب) .
- أبو حيان الأندلسى (البحر المحيط) .
- السيوطى (رسائل ست بإقامة براهين على نجاة الأبوين الشريفين ، وأهمها (التعظيم والمنة فى أن أبوى رسول الله - ﷺ - فى الجنة) .
- الصالى (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) .
- البرزنجى (سداد الدين : أراد إثبات النجاة والدرجات للوالدين) .

- الزبيدى (تاج العروس ، الانتصار لوالدى النبى المختار) .
- رفاعة الطهطاوى (نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز - ﷺ -) .
- الألوسى (روح المعانى) .
- محمد نجيب المطيعى (مفتى الديار المصرية الأسبق).
- أ.د / على جمعة محمد عبد الوهاب (مفتى الديار المصرية الحالى) .
- د / احمد سعد . - سبقت الإشارة إليه - .
- أ.د / صبرى المتولى . - ملاحظة سابقة - .
- أ.د / احمد محمود كريمه . - ملاحظة سابقة - .

هذا بعض من كل ، وجزء من كثير ، على جهود آئمة إعلام على نجاة والدى سيد الأنام - ﷺ - .

المبحث الخامس

نبش قبور الصالحين

معروف أن الأنبياء والرسل – عليهم السلام – يدفنون حيث ماتوا وقد صح أن سيدنا أبا بكر – رضي الله عنه – عمل بهذا ، وأن قبورهم محرمة لا تمس إلا بالتوقير والاحترام لشرف ما تحتويه من صفوة الخلق « المصطفين الأخيار » – عليهم السلام – وقد فقه أئمة العلم سلفاً وخلفاً هذا ، ولذا فإن قبوراً عديدة منسوبة إلى لأنبياء ورسل – عليهم السلام – فى حجر إسماعيل – عليه السلام – وما فى جوانب مسجد الخيف بمنى وما فى مسجد قبة الصخرة ببيت المقدس ، وما حوله فى البقعة المباركة بالقدس ومناطق عديدة فى الشام الكبير : فلسطين ، سورية ، وغيرها .

ويتوج هذا بقبر سيدنا النبى محمد – ﷺ – بالمدينة المنورة الذى كان فى حجرة السيدة عائشة – رضي الله عنها – إثر وفاته ، ثم ضم إلى داخل المسجد النبوى من عهد خيرة الصحابة وأكابر التابعين – رضي الله عنهم – بتنفيذ سيدنا عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – وفى المدينة الفقهاء السبعة – رحمهم الله تعالى – دون نكير فكان إجماعاً لا ينقض بإجماع آخر وفق القواعد الأصولية الفقهية [1] .

قبور أولياء – رضي الله عنهم – لها احترام وتوقير بمساجد أو غيرها ومعروف سيرة أهل الكهف : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [2] ، فسياق النظم

(١) أعلام المساجد للزركشى ، وفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودى ، أسد الفاتح لابن الأثير.

(٢) الآية ٢١ من سورة الكهف .

القرآنى أن القول الثانى : { لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا } قول الموحدين ، قال الشهاب الخفاجى فى حاشيته على تفسير البيضاوى : وفى هذه الآية دليل على اتخاذ مساجد على قبور الصالحين ، وما ورد فى شرع الإسلام من أن أبا جندل بن سهيل بن عمرو – رضي الله عنه – دفن أبا بصير – رضي الله عنه – وبنى على قبره مسجداً بسيف جدة البحر ، بمحضر ثلثمائة من الصحابة – رضي الله عنهم – وعلم رسول الله – ﷺ – بذلك ولم ينكر عليهم

ووجود قبور الصالحين فى شتى العصور منسوبة إلى صالحين بالعراق وإيران واليمن وتركيا ومصر وباقى شمال أفريقيا من أعصار غابرة دون نكير من أئمة العلم ، كل هذا وأشباهه ونظائره يعد إجماعاً وأما قيام فرقة منسوبة إلى الدين من فرق المسلمين (الوهابية المتسلفة)[1] بعمليات هدم وحرق وإزالة قبور صالحين محرم مجرم لما يلى :

١) أدلة النصوص الشرعية :

أ) القرآن الكريم : قول الله – تعالى – : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2] ، قوله – عز وجل – : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[3] ، وقوله – سبحانه وتعالى – : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[4] .وقوله – تقدست صفاته – : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) الحق أنها (متسلفة) ولهم مبادئ مخالفة لصحيح الإسلام ، ارجع إلى كتابنا (السلفية بين الأصيل والدخيل) و (متسلفة لا سلفية) .

(٢) الآية ٢ من سورة المائدة .

(٣) الآية ٥٨ من سورة الأحزاب .

(٤) الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] ، وقوله – تباركت أسماؤه : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [2] ، وقوله – تعالى – : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [3] ، وقوله – جل شأنه – : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [4] ، وقوله – تعالى – : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [5] ، وقوله – سبحانه – : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [6] .

ب) من السنة النبوية : عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله – ﷺ – : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما أفضوا » [7] ، « من اقتطع امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة ، فقال له رجل : وإن كان شيئاً يسيرا يا رسول الله ؟ قال : وإن كان قضيباً من أراك » [8] « كسر عظم الميت ككسره حيا » [9] ، « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » [10] .

دليل الإجماع :

فالإجماع قائم على وجود قبور ظاهرة فى شتى الأعصار والأمصار لأنبياء ورسل

(١) الآية ٩٠ من سورة النحل .
(٢) الآية ٨٥ من سورة الأعراف .
(٣) الآيات ٢٠٤ – ٢٠٦ من سورة البقرة .
(٤) الآية ٤٢ من سورة الشورى .
(٥) الآية ٨٦ من سورة ص .
(٦) الآية ٦٣ من سورة النور .
(٧) صحيح البخارى .
(٨) رواه مسلم .
(٩) سبق عزوه .
(١٠) متفق عليه .

– عليهم السلام – وقد مر وذكر رسول الله – ﷺ – فى رحلة الإسراء والمعراج مروره بقبر سيدنا موسى – عليه السلام – عند الكثيب الأحمر – رمية حجر من فلسطين – ولأولياء صالحين – رضي الله عنهم –.

دليل المعقول :

١) قبور الرسل والأنبياء – عليهم السلام – لا تمس بسوء وقد زارها ورآها ووصفها أهل العلم سلفاً وخلفاً دون نكير وهى موجودة ظاهرة محل تقدير واحترام وتوقير من عامة الناس .

٢) قبور الصالحين – رضي الله عنهم – من زهاد وعبّاد مشهود لهم بالصلاح ، وتواترت الأخبار بصلاحهم واستقامتهم محل تقدير لحرمة العدوان عليهم فى حياتهم ومماتهم لعموم النهى عن إيذاء المؤمنين ، ولقوله – تعالى – : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [(١)] ، وقال الله – عز وجل – فى حديثه القدسى : « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب... » [(٢)] .

قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – : « إن الله – تعالى – قال لسيدنا موسى – عليه السلام – : أعلم أن من أهان لى ولياً وأخافه فقد بارزنى بالمحاربة وعادانى ، وعرض نفسه ودعانى إليها ، وإنى اسرع إلى نصرة أوليائى .... » [(٣)] .

وقال الطوفى – من فقهاء الحنابلة – : « لما كان ولى الله – سبحانه – من تولى الله – تعالى – بالطاعة والتقوى ، تولاه الله – تعالى – بالحفظ والنصرة ، وقد أجرى الله – تعالى – العادة أن عدو صديق ، وصديق العدو عدو ، فعدو ولى الله عدو الله فمن

(١) الآيات ٦٢ – ٦٤ من سورة يونس .
(٢) رواه البخارى فى كتاب الرقاق .
(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد – رحمه الله تعالى – .

عاداه كمن حاربه ، ومن حاربه فكأنما حارب الله » .

من هنا : فالاعتداء على قبور المسلمين محرمة مجرمة وتتأكد الحرمة فى قبور خلص عباد الله – تعالى – من سادتنا الرسل والأنبياء – عليهم السلام – والأولياء – ﷺ – .

٣) قرر أئمة العلم أن نباش القبور :

أ) النباش مرتكب جرماً .

ب) أن اسم السرقة يشمل النباش لأخبار وآثار منها :

(سارق أمواتنا كسارق أحيائنا) [١] .

(من حرّق حرّقناه ، ومن غرّق غرّقناه ، ومن نبّش قطعناه) [٢] .

٤) لا يسلم استدلالات خاطئة واستنباطات مغلوطة بأن قبور الأنبياء – عليهم السلام – وأولياء – ﷺ – منكر يجب تغييره لما يلى:

خبر : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، و (اشتد غضب الله على قوم أخذوا قبور أنبيائهم مسجداً) و (اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد) .

التعليق : المساجد فى هذه الأخبار وما يماثلها يراد بها ليس دور العبادة (صوامع وبيع وصلوات ومساجد) لأن غير المسلمين لا يقال لدور العبادة عندهم مساجد مطلقاً لا منهم ولا من غيرهم ، فالمراد موضع سجود لهذه المقابر وقبلة للدعاء .

أما خبر : (لا تجعل قبرى وثناً يعبد) فالحمد لله وله المنة والفضل لا يوجد

(١) المصنف لابن أبى شيبة ١٠/ ٣٤ ، معرفة السنن ١٢/ ٤٠٩ .
(٢) معرفة السنن للبيهقى ١٢/ ٤٠٩ .

على ظهر الأرض أحد فى السابق ولا الحاضر ولا المستقبل يقصد قبر سيدنا محمد رسول الله - ﷺ - بالعبادة ، أما زيارته فمن أعلى القربات ، وأعظم الطاعات من صدر الأمة المسلمة حتى الآن إلى ما شاء الله تعالى نصاً وإجماعاً .

لقد وقفت وزارت سيدتنا فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - قبر سيدنا رسول الله - ﷺ - وقامت برثائه [١] .

وكذا السيدة عائشة - رضي الله عنها - ، وسيدنا بلال الحبشى - رضي الله عنه - [٢] ، وأبو أيوب الأنصارى - رضي الله عنه - [٣] .

وألف الإمام البخارى - رحمه الله تعالى - كتاب : « التاريخ - عند قبر رسول الله - ﷺ - فى الليالى المقمرة » [٤] .

تعلل مجترئون على حرمة قبور الصالحين بأن عندها بعض الناس يفعلون ما يرونه من البدع على فرض ما يرونه من البدع فهى مفسدة أخف تتحمل اتقاء لمفسدة أشد .

ففى الخبر : قول رسول الله - ﷺ - لسيدتنا عائشة - رضى الله عنها - : « لولا أن قومك حديثو العهد بالإسلام لأدخلت الحِجر - أى حِجر إسماعيل فى الكعبة المشرفة - فى الكعبة » [٥] .

والقواعد الفقهية تقرر : « إذا تعارضت مفسدتان تتحمل الصغرى اتقاء

---

(١) المغنى لابن قدامة ج٢ ، وفاء الوفاء للسمهودى ج٢ ، إرشاد السارى للقسطلانى ج٢ ، المرقاة على القرى ج١١ .

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج١ ، سبل الهدى والرشاد للشامى ، نيل الأوطار للشوكانى فى كتاب المناسك .

(٣) المستدرك الحاكم .

(٤) التاريخ للخطيب ، سير أعلام النبلاء للذهبى .

(٥) رواه البخارى فى صحيحه .

الكبرى»[1]، «لا ضرر ولا ضرار»[2].

والواجب الشرعى يحتم التوعية السليمة بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله – تعالى – : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[3].

إن فقه الدعوة الحقة الراشدة يوجد سد ذرائع الفتن فى المجتمع وإثارة القلاقل والاضطرابات وإشاعة العداوات فى بعض أمور لا تمس أصلاً من أصول الإيمان ولا أركان الإسلام، لا تهدد اعتقاداً ولا تخل التزاماً سوى فى خيال مرضى وحمقى.

الأولى فى فقه الموازنات والأولويات الاشتغال بمقدسات مسلوبة وعلى رأسها الأقصى بدلاً من إلهاء الناس بأضرحة وقبور لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

(١) الأشباه والنظائر للسيوطى.
(٢) المرجع السابق وأصله خبر نبوى رواه مالك فى الموطأ.
(٣) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

المبحث السادس

معاداة أولياء الله تعالى رضي الله عنهم

الحمد لله العلى والوهاب ، اصطفى الأمة المسلمة لوراثة الكتاب ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (١) ، بما تقوم به من وظيفة وما تحمل من أمانة ، وما تؤدى من مهمة فى دنيا الخلق ؛ لأنها بفيض الحق ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (٢) ، وبما تقيمه من موازين العدل والرحمة ، وبما تمتلك من قيم الوحى السماوى السليم .

والصلاة والسلام على النبى الأواب مبلغ الكتاب شفيع الأمة يوم الحساب سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الحساب .

وبعد

فالحديث فى الصالحين المصلحين ، المربين المرشدين ، طيب جميل ، عذب سلسبيل ، تستروح النفوس فى جنباتها الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، وتستضئ العقول فى إشراقاتها العبر والدروس القيمة ، وتسر القلوب الطامحة لأنوار الحق بسيرهم الطيبة ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (٣) ، وإن كانت فى سادتنا الرسل والأنبياء – عليهم السلام – وهى فى ورثتهم فى إرشاد الخلق إلى الحق .

(١) الآية ٣٢ من سورة فاطر .
(٢) آية ١٤٣ من سورة البقرة .
(٣) الآية ٩٠ من سورة الأنعام .

وتشنف الأسماع ، وترشد وتضاء العقول ، بنصوص الشرع الإسلامى المطهر، المثبت لمقامات وأحوال « أولياء الله – عز وجل – » فى كل زمان ومكان، فى كل عصر ومصر ، فى كل شعب وقبيل وجيل : –

قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (١) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (٢) .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « إن الله – تعالى – قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشئ أحبَّ إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه » (٣) .

ومع شذرات وومضات من هذه النصوص المحكمة :

الولى : الولى فعيل بمعنى فاعل ؛ لأنه والى عبادة الله وطاعته من غير تخلل معصية ، أو بمعنى مفعول ؛ لأن الله – عز وجل – والاه بالحفظ والرعاية مقابل

(١) الآيات ٦٢ : ٦٤ من سورة يونس .

(٢) الآيات ٣٠ : ٣٢ من سورة فصلت .

(٣) الحديث رواه البخارى فى الرقاق – باب التواضع بهذه الرواية عن أبى هريرة – رضي الله عنه – ، وفى رواية زيادة « ما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى فى نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

حفظ حدوده ورعاية أوامره ونواهيه ، وأصل الولاية المحبة والتقرب [١] .

ومن معانى (الولى) : العالم بالله – سبحانه – المواظب على طاعته المخلص فى عبادته [٢] .

وقيل : الولى : الذى علم فعمل بحقيقة العلم ، وهو الطاهر قلبه ، البريئة يده ، المتحاب مع إخوانه بجلال الله – تعالى – [٣] .

وقيل : ولاية العبد هى : تصديقه بالله – تعالى – وبكل ما جاء من عنده ، ثم بالإسلام بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ثم التفويض إليه ، والتوكل عليه ، والاستسلام لأمره فى سره وعلانيته ، وشدته ورخائه ، وقوله الحق ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٤] فمحبة الله – عز وجل – تبع لولايته [٥] .

وقيل : الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل [٦] .

وقيل : الولى هو من داوم حفظ الله – تعالى – فى قيامه بحقوقه – عز وجل – فى السراء والضراء ، وهو من فرّغ نفسه لله – عز وجل – وأقبل بوجهه عليه ، يشمه الصديقون كأنه ريحان الله – تعالى – فى الأرض ، فتصل رائحته إلى قلوبهم ، فيشتاقون به إلى مولاهم – عز وجل – [٧] .

وقال الإمام الجنيد : هو عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله،

---

(١) وانظر مختار الصحاح .
(٢) فتح البارى لابن حجر ١١/ ٣٤٠ .
(٣) صفوة الصفوة لابن الجوزى ١/ ١٤ .
(٤) الآية ٣١ من سورة آل عمران .
(٥) الأسنى للقرطبى ١/ ٣٠١ وما بعدها .
(٦) السلوك لابن تيمية ص ٤٤٠ .
(٧) الرسالة القشيرية ص ٢٥٦ .

وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله [1] .

وكثرة المبانى تدل على أصالة المعانى .

أولياء الله – جل شأنه - : هم خلص عباده القائمون بطاعته المخلصون له ، وقد وصفهم الله – سبحانه – فى كتابه الكريم بصفتين هما :

أ) الإيمان

ب) التقوى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾

مراتب أولياء الله – تعالى - :

١ - الرسل والأنبياء – عليهم السلام – المعصومون عن كل ذنب وخطيئة ، المؤيدون بالمعجزات من عند الله – سبحانه - .

٢ - السادة آل لبيت – رضي الله عنهم - .

٣- أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ ، – رضي الله عنهم – الذين عملوا بكتاب الله – تعالى – وبسنة رسول الله ﷺ [2] .

٤ - من يتحقق فيه الإيمان الراسخ بالله – تعالى – والتقرب إلى الله – سبحانه – بالواجبات والمندوبات قولاً وفعلاً ، والفرار من المحظورات والمخالفات، ويتحقق هذا فيمن صدق وأخلص لله – تعالى – دون حصر للولاية فى طائفة بعينها، قال الله – عز وجل - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [3] ، فالخلاصة : أولئك المؤمنون الصادقون الذين صلحت أعمالهم ، وحسنت بالله

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ١٥ .
(٢) الوافى فى شرح الأربعين النووية د. مصطفى البغا ص ٣٣٦ .
(٣) الآيتان ٥٥ وما بعدها من صورة المائدة .

– تعالى – صلتهم .

ومن جيد ما ينوه به : قال الفخراني الرازي : ظهر فى علم الاشتقاق أن تركيب (الواو واللام والياء) يدل على معنى القرب، فلولى كل شئ هو الذى يكون قريباً منه[1] .

والقرب من الله – سبحانه – : إنما يتم إذا كان القلب مستغرقاً فى نور معرفته ، فإن رأى رأى دلائل قدرته ، وإن سمع سمع آيات وحدانيته ، وإن نطق نطق بالثناء عليه ، وإن تحرك تحرك فى خدمته ، وإن اجتهد اجتهد فى طاعته ، فهنالك يكون فى غاية القرب من الله – تعالى – ويكون ولياً له – سبحانه – وإذا كان كذلك ، كان الله – تعالى – ولياً له – أيضاً – كما قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ، وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضى : للإشارة إلى أنه إيمان ثابت راسخ ، لا تزلزله الشكوك ، ولا تؤثر فيه الشبهات ، وعبر عن تقواهم بالفعل الدال على الحال والمستقبل ، للإيذان بأن اتقاءهم وابتعادهم عن كل ما يغضب الله – تعالى – من الأقوال والأفعال ، يتجدد ويستمر دون أن يصرفهم عن تقواهم وخوفهم منه – سبحانه – ترغيب أو ترهيب ، ولهم البشرى فى الحياة الدنيا بالرؤيا الصالحة والثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس ، والفتح والنصر ، ولهم ما يسرهم ويسعدهم فى الآخرة من الفوز برضوان الله – سبحانه – ومن دخول جنته[2] .

والأولياء يتفاضلون فيما بينهم بحسب تفاوتهم فى الإيمان والتقوى ، وليس من شرط الولى أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين[3] .

ومما ينبه عليه : الحذر الحذر من إنكار الولاية أو التنقيص من شأنهم أو

(١) تفسير الرازى ١٧/ ١٢٦ .
(٢) تفسير القاسمى ٩/ ٣٣٧٤ .
(٣) المرجع السابق .

التقليل من مكانتهم ، فقد روى الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – : « أن الله – تعالى – قال لموسى – عليه السلام – حين كلّمه : أعلم أن من أهان لى وليّا وأخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وعادانى ، وعّرض نفسه ودعانى إليها ، وإنى أسرع شئ إلى نصرة أوليائى ، أفيظن الذى يحاربنى أن يقوم لى ؟ أو يظن الذى يعادينى أنه يعجزنى ؟ أم يظن الذى يبارزنى أن يسبقنى » [1] .

وقال الطوفى : « لما كان ولى الله – سبحانه – من تولى الله بالطاعة والتقوى ، تولاه الله – سبحانه – بالحفظ والنصرة ، وقد أجرى الله – تعالى – العادة بأنّ عدو العدو صديق ، وصديق العدو عدو ، فعدو ولى الله عدو الله ، فمن عاداه كمن كان حاربه ، ومن حاربه فكأنما حارب الله » [2] .

أجل : الولاية حق ، الولاية صدق ، الأدلاء على الله – سبحانه – ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [3] ، مربون للقلوب ، مرشدون للسبيل ، آمرون بمعروف ، ناهون عن منكر ، لهم درجات وكرامات ، جمعوا الشريعة والحقيقة .

لمثل هذا فليعمل العاملون وليتنافس المتنافسون

(١) الزهد لأحمد بن حنبل ص ٨٣ .
(٢) فتح البارى لابن حجر ١١/ ٣٤٠
(٣) الآية ٥٩ من سورة الفرقان .

المبحث السابع

معاداة عموم المسلمين وخواصهم

العدوان المتسلف على المسلمين

فى السطور التالية من واقع إصدارات وما يعدونه فتاوى هجوم كالح وتسفيه وتشهير وتجريح ضد أهل القبلة قديماً كأئمة العلم التراثيين ، وأكابر الباحثين المعاصرين ، والمؤسسات الإسلامية ذات العلاقة وأعرض حقائق بوثائق :

المتسلفة وعدوانهم على الأزهر الشريف

عينة من منشورات وإصدارات المتسلفة ، قالت واحدة من كبريات مجلاتهم ، مجلة « التوحيد » لسان جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة – مصر ، العدد ٥ ، ص ٢٢ ، المجلد ١٣ ، تحت عنوان : الدعوة إلى إصلاح الأزهر بقلم : محمود مهدى استنابول ، جاء فيه : إصلاح الأزهر صلاح للعالم الإسلامى كله ، وليس هناك من وسيلة لإصلاحه إلا باقتلاع بعض المواد التى تدرس له كالتصوف والفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، .... ، وإن منهاج كلية أصول الدين بالأزهر قسم العقيدة ما هى إلا مواد لهدم أصول الإسلام !!!

ولا داعى لقيام الأزهر بتدريس الفقه المذهبى ، وينبغى توحيد المذاهب إلى مذهب واحد هو مذهب محمد (هكذا) – ﷺ – والعمل بمقتضاه ، ويجب تغيير المناهج لكى تتفق مع عقيدة السلف الصالح لأمة ما زال تدرس الكفر باسم الإيمان . أ . هـ !!!! .

لا تعليق : متروك التعليق للقارىء الحبيب العزيز .

• العدد ١ ، ص ٤٣ ، المجلد ١٦ ، تحت عنوان « احذروا هذه الفتاوى » بقلم : محمد نجيب لطفى ، حيث نقد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف واتهمه أنه مؤسسة المفترض فيها العمل بالإسلام لا لهدمه ، حيث نشر المجمع كتاب (مقالات وفتاوى الشيخ / يوسف الدجوى ، عضو جماعة كبار العلماء فى مجلدين كبيرين محشوان بفتاوى وآراء فى غاية الزيف والبطلان) !!! .

بالرجوع إلى أعداد مجلة (التوحيد) تجد هجوماً شديد الوطأة على : الأزهر ، الأوقاف ، إذاعة القرآن الكريم ، الصحف الإسلامية مثل : اللواء الإسلامى ، دار الإفتاء المصرية .

خطب ودروس أشياخ المتسلفة بمساجد وقنوات فضائية وندوات تمتلأ بالتنقيص والاحتقار والاذدراء للأزهريين وتصفهم : زيغ وفساد العقيدة!!

تصرفات المتسلفة عقب أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١م بمصر ، من عدوان على الأزهر الشريف ، وإنشاء هيآت موازية وربما بديلة عنه ، وسب وقذف رموزه فى قنواتهم الفضائية مشهورة معلومة .

يفعلون بالأزهر ما لم تفعله كنائس النصارى ولا المحتلين الإنجليز والفرنسيين، ولا حاخات اليهود ، ولا مراكز الإلحاد ، ولم يوجه المتسلفة أية كلمة ضد هؤلاء ، مشكلتهم وقضيتهم : إضعاف وإنهاك وإغلاق الأزهر ، ليقوموا على أنقاضه (والله من ورائهم محيط) .

ما ذكر مجرد (عينه) لمن (كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

وما يقوم به متسلفة فى مساجد ومعاهد ومراكز دعوية وغيرها من اتهام الأزهريين فى هيآت الأزهر الشريف وجهات الدعوة والإعلام الإسلامى أنهم (أشاعرة) يعنون ويقصدون « زيغ وفساد العقيدة » أى الكفر ، وجعلوا كراهية

وبلبلة وشوشرة على أداء الأزهريين فى الكليات والمعاهد والمدارس والمساجد وغير ذلك ،ويشيعون– كذباً – أن الأشعرى كافر وضال مضل !

وبالتالى يخرجون ٩٥٪ من عموم المسلمين بأنحاء العالم عن الإسلام !

إن لم يكن هذا التكفير وعداوة العلماء واحتقار الدعاة وإجهاض العمل الدعوى والثقافى والإعلامى لعموم المسلمين فأى شىء يكون ؟ !!

obeikan.com

عدوان المتسلفة على عموم المسلمين

اكتفى بإحالة قارئنا العزيز إلا ما سطرته أيدى الحقد ، ومداد الحسد ضد عموم المسلمين من تسفيه وتخطئة وتشويه وتشهير ، ببعض إصداراتهم:

ضد جماعة التبليغ والدعوة : كتاب « السراج المنير فى تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم : تأليف محمد تقى الدين الهلالى ، السعودية – مكة المكرمة – جامعة أم القرى ، طبع ونشر وتوزيع دار خباب بن الأرت .

ضد جماعة الإخوان المسلمين : كتاب « فتاوى وأقوال علماء المسلمين فى جماعة الإخوان المسلمين » تقديم / ياسر برهامى .

ضد الصوفية : هذه الصوفية عبد الرحمن الوكيل ، الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن عبد الخالق .

ضد الشيعة : مئات الكتب صادرة عن جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ، وجمعية إحياء التراث بالكويت ، وإصدارات لا يحصيها عد .

ضد الإباضية : إصدارات وفتاوى كسابقتها .

ضد مؤسسات ثقافية : الجمعية الشرعية بمصر أسموها (الجمعية الجهمية)!!! .

ماذا بقى إذن من المسلمين وكلهم فى نظر المتسلفة خاطئون مبتدعون مارقون ينتظرهم سوء الحساب ، وأليم العقاب ، وعدوهم – للأسف – من الفرق الضالة.

ضد أكابر العلماء فى الماضى والحاضر : ذم وطعن وتجريح فى أئمة العلم التراثيين مثل : ابن القيم ، النووى ، أبو الحسن الأشعرى أبو منصور الماتريدى ،

الزمخشرى ، ابن رشد ، الفارابى ، ابن سينا ، ابن حجر ، أبو حنيفة ، عموم المفسرين – عدا ابن كثير – عموم شراح الأحاديث النبوية ، عموم آئمة الفقه : الحنفى ، المالكى الشافعى ، الظاهرى ، الجعفرى ، الزيدى ، الإباضى ، ..... الخ.

والمعاصرين مثل : أصحاب الفضيلة الشيوخ : الصابونى ، محمد الغزالى ، يوسف القرضاوى ، عبد الحليم محمود ، على جمعة ، محمد السيد طنطاوى ، أحمد محمد الطيب ، أحمد عمر هاشم ، أحمد محمود كريمه .... الخ .

ضد المؤسسات العلمية : نقد لاذع وتجريح ضد : مشيخة الأزهر الشريف ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، العشيرة المحمدية الصوفية ، الأوقاف ، صحف « اللواء الإسلامى » ، إذاعة القرآن الكريم المصرية .... الخ .

راجع على وجه الخصوص : مجلدات أعداد مجلة التوحيد لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية وقد كتب د. / محمد حسينى الحلفاوى ، سلسلة مقالات بعنوان : « صوت وكلاء الوهابية فى مصر مجلة : التوحيد ، بمجلة : « الإسلام وطن » ، فليرجع إلى سلسلة مقالاته حيث رصد اعتداءات المتسلفة على من وما سبق من واقع مجلة : « التوحيد » كنموذج السيء ، والتنابز بالألقاب ، والسخرية والاحتقار !! ، ومجلة (الفرقان) الكويتية .

بالإضافة إلى ما يبث فى قنوات فضائية وإلكترونية من تجريح وتشهير وتنقيص ونهش فى الأعراض ، وسباب وشتائم ما جاوز المعقول والمقبول معا ، وقد قامت هيآت وشخصيات رفع دعاوى قضائية ضد أشياخ المتسلفة لبذاءات الألسنة والتطاول الفج ! (فبأى حديث بعده يؤمنون) .

يعرض هذا على أخلاقيات الإسلام : قرآناً وسنة وسلف صالح حقيقتين ، هل هذا فى صالح الإسلام وأتباعه ؟ ! الإجابة معروفة ، وهذا يميط اللثام عن المتسلفة

خوارج العصر والأوان دون منازع .

إن أخطر ما لاكته ألسنة أشياخ المتسلفة :

برروا بذاءاتهم عبر قنواتهم الفضائية ومنابر مساجدهم أن القرآن الكريم وأن النبي محمد - ﷺ -وأن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يسبون ويشتمون ويعلنون !! هكذا علناً وصراحة جهاراً نهاراً دون أدنى بصيرة !! .

والغريب والعجيب أن الأستاذ حسن البنا يصف جماعته الإخوان عند نشأتها أنها « سلفية » !! ، وقريب من تجريح المتسلفة لعموم المسلمين يسير الإخوان على نرجسية أنهم وحدهم الفاهمون الممثلون للإسلام ! معين واحد ! .

تذكرة

أخى المتسلف : اقرأ تدبر تفكر وازن واحكم ! .

أحيلك على نتاج علمى لتصحح بنفسك مفاهيم مغلوطة ، تصّوب بنفسك أفكاراً خاطئة !! .

- داعية وليس نبياً قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التكفير تأليف حسن بن فرحان المالكى بالسعودية طبعة دار الرازى بعمان الأردن.
- كفى تمزيقاً للأمة باسم السلف أ.د / عمر عبد الله كامل – باحث سعودي-.
- قضية التكفير فى الفقه الإسلامي أ.د / أحمد محمود كريمه .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للإمام الأشعرى .
- إلقاء الحجر للمتطاول على الأشاعرة من البشر للشيخ السقاف
- نقد تعليقات الألبانى للشيخ / إسماعيل الأنصارى و « التنكيل بما فى كتب الألبانى من التناقضات والأباطيل للشيخ حسن السقاف » .
- أبحاث فى التصوف أ.د / عبد الحليم محمود .
- تقسم التوحيد بين التأصيل الشرعى والحقيقة التاريخية أ.د / عبد الباسط السيد مرسى ، نشر (« مؤسسة المؤلف » التآلف بين الناس الخيرية) .
- بطلان التقسيم الثلاثى للتوحيد أ.د / عمر عبد الله كامل .

- هموم داعية للشيخ / محمد الغزالى .
- السنة النبوية بين أهل الحديث وأهل الفقه للشيخ / محمد الغزالى.
- وكلامى على المتسلفة ينسحب بالضرورة على الإخوان لأن مؤسسهم قرر صراحة أنهم جماعة سلفية ، وإن كانوا أخف وطأة فى مسألة وقضية (التكفير) .

obeikan.com